الجزويتية والطرائق الاسلامية (١)

(تابع لما قبل)

واما مقام السلطة فغير منكرٍ ان النظام في جميع الرهبانيات لا يستتبّ الا بالسلطة القاهرة من الرؤسآء على من دونهم . على ان سلطة الرؤساء يعلوها القانون وهو واجب الطاعة على جميع الافراد بالسوآء وفيهِ تعريف الحقوق والواجبات على وجهٍ مطّرد بحيث لا يُوجَب امرٌ الا بمقتضى نطق القانون . وفضلاً عن ذلك فان لكل رهبانيةٍ مجامع عامّة يلتئم فيها نوّابٌ من كل دير ولهؤلآء النوّاب حق الانتقاد لاعمال الرؤسآء حتى الرئيس العام ومعارضتها بالقانون للنظر فيما انطبق منها عليهِ وما شذّ عنهُ

اما في الطرائق الاخوانية فللشيخ السلطان المطلق وليس عليهِ كما هو

(١) قد فرغ الاب شيخو من الجواب على المسيو ڤكتور شربونيل في هذه المقالة بسطرين نشرهما في مشرقهِ المعهود محصلهما خلا ما اودعهما من الشتم القبيح ان المشار اليهِ كان كاهناً كاثوليكياً ثم خلع عنهُ لباس الكهنوت يعني انهُ اعلم الناس بحال الجزويت واقدر من حاول الوصول الى مكنون سرّهم واحقّ من يوثق بهِ في تعريفهم . ولا نزيد المطالع هنا ان الرجل لم يقل من عند نفسهِ شيئاً ولكن كل ما فعل انهُ قارن بين قوانين الجزويت وقوانين الطرائق الاخوانية اخذاً عن كتب الفريقين وعرض كل ذلك لحكم المطالع . فليعدّهُ الاب شيخو مارقاً من الدين ومتمذهباً بمذهب الضلال وشيطاناً ومسافحاً الى آخر ما وصفهُ بهِ مما لا يحسن سردهُ الا جزويتيٌّ يخاصم فما يقول في كتب قوانينهِ ورياضاتهِ التي نقل عنها المسيو شربونيل بالحرف ودلّ على كل عبارةٍ ببيان اسم الكتاب والكاتب وعدد الصفحة الى غير ذلك مما لا يتوجه عليهِ انكار ولا سبيل الى ردّهِ وتكذيبهِ

في نص الوِرد الا ان يستخدم هذا السلطان بحسب هواهُ واذا استشار الاخوان احياناً فانما يفعل ذلك من تلقآء اختيارهِ وليس لاحدٍ منهم ان يردّ كلامهُ سوآء اخطأ ام اصاب . وحينئذٍ فلا انتقاد عليهِ ولا وجه لمعارضة كلامهِ بالقانون لانهُ هو نفسهُ القانون وهو مخيرٌ ان يعلن من اوامرهِ ما يشآء لمن يشآء كما يشآء

وهذه السلطة المطلقة نفسها بما فيها من قوة الاستبداد معطاة للرئيس العام عند الجزويت بمقتضى نص قوانينهم فهو مُطلَق اليد في كل امرٍ يصنع كما يشآء ويجب ان يطاع ابداً ويُحترَم احترام الممثل ليسوع المسيح . اما المجامع العامّة فلا وجود لها عند الجزويت ولا يلتئمون لعقد مجمع عام الا عند موت الرئيس العام لتعيين الخلف . وللرئيس ان احبّ ان يستشير مجمعاً من شيوخ رهبانهِ ولكن ليس عليهِ ان يعمل برأيهم لانهُ هو نفسهُ القانون الحيّ وهو مفسّر القانون وموزّع اوامرهِ يفرض على كل واحدٍ من مرؤوسيهِ العمل الذي يراهُ ملائماً لحالهِ . ولهذا يقول سوارز (احد علمآء الجزويت) ان الكنيسة لم ترَ قطّ رئيس جمعيةٍ بلغ سلطانهُ هذا المبلغ من الاتساع

وعلى الجملة فقانون الرهبانيات القديمة يقول في كل قضيةٍ « كما يفرض القانون » والوِرد يقول « كما يريد الشيخ » ونظام الجزويت يقول « كما يشآء الرئيس العام »

واذا استقرينا المقابلة بين الوِرد ونظامات الجزويت الى ان نصل الى طور العمل نجد المشابهة هناك تزداد تحققاً الى ما يقضي بالعجب

فمن ذلك ان جميع اموال الاخوان من صامتٍ وناطق مفوّضة الى

رأي الشيخ وتصرُّفهِ والجزويت كذلك يكلون الى الرئيس العام السلطان الكامل ان يتولى اي عقدٍ كان من بيع او شرآء وان يقبل الهبات او يردّها. ثم ان المجمع الثامن من مجامعهم العامة يبيح لهُ ان « يخالف نيات الواهبين وان يستولي على هباتهم ولا يصرفها الى الوجوه التي اشترطوها اذا كانت تلك الوجوه شاقةً على الجمعية وذلك بشرط ان يمكن بقآء الامر مستتراً دفعاً للشكوك واتقآء لاقامة النكير من جهة الواهبين اذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة » .....

ثم ان الاخوان يتلقون مشيئة الشيخ في الاماكن البعيدة بواسطة معاونين يسمون بالنواب او الخلفآء وفي مكان اقامة الشيخ بواسطة رؤسآء يسمون بالمقدّمين . وكذلك الجزويت عندهم لكل اقليم رئيسٌ يتلقى الاوامر من الرئيس العام ولكل دير رئيسٌ خاص يبلّغ الاوامر بواسطة رئيس الاقليم

ومن خصائص الاخوان ان يتلقوا اوامر الشيخ على ايدي رُسُلٍ يسمون بالركاب وهم لا يكونون الا من اعضآء الطريقة ويثبتون ارسالهم من قِبَل الشيخ بابراز خاتمهِ وبأماراتٍ أُخر لا يعرفها الا اصحاب الرتب العالية من الداخلين في الطريقة وعلى الغالب تؤدَّى سرًّا . وفي هذه الحال يكون الركاب بمنزلة مبلّغين ايضاً او جواسيس لان الوشاية بين الاخوان من الامور المفروضة عليهم وكلهم مكلفون بمراقبة بعضهم لبعض . وهذا بعينهِ تجدهُ عند الجزويت فان قوانينهم تفرض عليهم هذه البلاغات المطّردة بين رئيس الجمعية واعضآئها بواسطة الرسائل والسعاة وقد كان ذلك سبب طردهم من البندقية سنة ١٦٠٦ لانهُ اكتُشِف ان الجمعية كانت تنفق في كل سنة ثلاثين

الف ريال من الذهب لمراسلاتها السرّية .. ولعل المطالعين لم يذهب عنهم ما كان من امر الاب ماتيُو رسول المعاهدة المشهورة ضد هنري الرابع حين قبضت عليهِ جنود الملك وهو ذاهب بتلك الرسالة السرية من قبل اصحاب المعاهدة الى فيليب الثاني. ثم ان القوانين تفرض ان يأتي كل ثلاث سنوات شخصٌ في الاقلّ الى رومية يُختار من بين رؤساء الاديار او الرهبان في الاقاليم لينهي الى الرئيس العام ما يحملهُ من البلاغات المختلفة والمراد بهذه البلاغات الاخبار التجسُّسية لان الوشايات عند الجزويت مثلها عند الاخوان من الامور المفروضة في القانون فينبغي على ما نُصَّ فيهِ ان يُنقَل الى الرئيس العام كل ما يتعلق باديار الجمعية وافراد رهبانها . وينبغي زيادةً على ذلك ان يعرّف باسماء الاشخاص المحبّين للجمعية الذين ينوون ان يؤثروها باموالهم ولا سيما اذا كانت تلك الاموال ذات مقادير طائلة وان يُخبَر بما يقع على افرادها من المناصبات والاضطهادات مع بيان من لعلهُ يوجد من الناس الذين ساء اعتقادهم في الجمعية واضمروا لها الكراهية والمقت ولا سيما اذا كانوا من ذوي السلطة المطاعة. ولذا يقول احد المؤرّخين ان لرئيس الجزويت من سعة العلم بالحوادث ما ليس لاحدٍ من اصحاب الرئاسة حتى البابا نفسهِ

والاخوان من المسلمين يوجبون على انفسهم الخضوع المطلق لشيخهم ويحلفون على الطاعة العمياء . فقد جاء في قانون الرحمانية مثلاً ان الطالب ينبغي ان يكون طوع شيخهِ في كل شيء وان لا يحكم على شيء بحسن ولا قبح ولكن يجعل قلبهُ مقيداً بشيخهِ ويملأ فكرهُ من افكار شيخهِ وصورتهِ

فلا يرى سواهُ ولا يصدّق غيرهُ . والجزويت كذلك لهم الطاعة نفسها امام سلطة رئيسهم المطلقة فهم يرون فيهِ مثال يسوع المسيح وينذرون على انفسهم الطاعة العميآء . ومما جاء في قانونهم ينبغي ان نعتقد كل شيء صواباً متى حكم بهِ الرئيس وبحكم الطاعة العميآء ينبغي ان ننبذ كل فكرٍ او شعور يناقض اوامر الرئيس . فقد رأيت ان لقوانين الجزويت وللورد روحاً واحداً ونصاً واحداً ولقد طالما كنا نظن ان هذه الطاعة العميآء وما يتبعها من فنآء الذات من مخترعات الجزويت حتى وجدنا اصلها ونصها الحرفي في الطرائق الاخوانية

وقد سبق الايمآء الى ان هذه الطاعة عند الاخوان انما ينقادون لها بعد ان يجردوا انفسهم من تعقل الاشيآء والنظر في اسبابها أو فيما تنطبق عليهِ وذلك مخافة ان يفضي بهم اطلاق الفكر الى الخطأ في الحكم وهو مقتضى ما جاء في قوانين الرحمانية . وجآء في رسالة الطاعة التي ذيَّل بها اغناطيوس كتاب القوانين انهُ يجب على افراد جمعيتهِ ان تكون افكارهم مطابقةً لافكار الرئيس وان يجعلوا احكامهم خاضعةً لحكمهِ على قدر ما يستطيع من سلَّم قياد ارادتهِ الى سواهُ ان يصرف عنان عقلهِ لان الطاعة لا يكفي ان يدخل تحتها العمل والارادة ولكن لا بد من ادخال الحكم ايضاً بحيث ان ما يأمر بهِ الرئيس ويعتقدهُ يظهر لمن دونهُ حقاً وصواباً بمقدار ما يمكن ان تتغلب قوة الارادة على العقل . وعليهِ فمبدأ الجزويت ومبدأ الاخوان واحد وهو الخلوّ عن تعقل الاشيآء خلوّاً كاملاً . وقد استخلص المسيو رِنّ ان الواجبات التي يفرض الوِرد على كل طالب ان يلتزمها لشيخهِ في جميع الطرائق الاسلامية تنحصر في هذه الطاعة المطلقة

التي يعبّر عنها قول الجزويت ان احدهم ينبغي ان يكون بين يدي رئيسهِ مثل الجنازة اي مثل جسد الميت

وهذه العبارة الاخيرة اي قولهم «مثل الجنازة» هي بحرفها منقولةٌ عن التعبير الاسلامي ولبيان ذلك لا بأس ان نورد التنظير الآتي بين نصوص الفريقين

نص الطرائق	نص لويولا
تكون بين يدي شيخك مثل الميت بين يديـ غاسلهِ (كتاب الشيخ السنوسي ترجمة كولاس وهو كتاب سابق على رياضات الجزويت وقوانين اغناطيوس)	يجب على الذين يعيشون في الطاعة ان يدَعوا رئيسهم يوجههم كيف شآء كالجنازة التي تمكن من تحويلها وادارتها الى كل جهة (قوانين جمعية يسوع القسم ٦ الفصل ١)
يجب على الاخوان ان يطيعوا شيخهم طاعةً كاملة فيكونون بين يديهِ كالميت بين يدي الغاسل . (الاوامر الاخيرة التي املاها الشيخ علي الجمال على خليفة الشيخ السنوسي)	يجب عليّ ان اضع نفسي بين يدي الله ويدي الرئيس الذي يتولاني باسمهِ مثل جنازةٍ لا عقل لها ولا ارادة (الاوامر الاخيرة التي املاها اغناطيوس قبل موته بايام قلائل بمنزلة وصيةٍ روحية)

لا جرم ان الانتحال وان شئت قلت السرقة لا يكون على صورةٍ اوضح من هذا النقل وانما اخذ الجزويت قولهم « مثل الجنازة » عن اصلٍ اسلامي وقد انتقل من عرب اسبانيا الى جزويت لويولا ومنرّيزا وما يُرى في تعبيرهم من التحريف القليل فانما هو لموافقة الكثلكة

(ستأتي البقية)

اصل اللغات الساميّة

(تابع لما في الجزء السابق)

وهناك امران آخران لا بدّ من اعتبارهما في هذا المبحث بل هما عندي في المثابة الاولى من الدلالة على وحدة اللغتين احدهما ما اسميه بأوتاد اللغة واعني به الكلم التي لا تزيد بزيادة موادّ اللغة ولا تنقص بنقصانها ولا يستغني عنها المتكلّم في حال وذلك من نحو الضمائر والموصولات والاشارات وسائر الادوات والحروف . والثاني الاحوال العارضة للموادّ المتصرّفة في حالتي التجريد والتأليف مما تتقوّم به هيئة اللغة في الجملة وذلك من نحو ابنية الافعال والاسمآء وما يلحقها من الزيادات وكيفية تصريفها وما يعرض لها من احكام الاعلال والادغام الى ما شاكل ذلك . ومن نحو ابتدآء الجملة بالفعل دون الاسم وتأخير الضمائر عن الافعال واسقاط متعلّق المستقرّ من الظروف وحذف العائد المنصوب ومن نحو التقديم للتخصيص أو الحصر واستعمال المضارع في الطلب واسم الفاعل للحال أو الاستقبال وما اشبه هذه الخصائص فانهُ مهما تقلبت الفاظ اللغة وكثر فيها التصرّف في الاوضاع والمعاني لا تخرج عن الهيئة الحاصلة لها بهذين الاعتبارين

فاذا تفقّدتَ هذه الامور كلها بين العربية والعبرانية وجدتها في اللغتين شيئاً واحداً على فروقٍ عارضة لا تعدو الفرق بين سائر الالفاظ المتجانسة في اللغتين مما يعود الى هيئة اللغة في الخارج على ما سبق لنا تقريرهُ . مثال ذلك قولهم في ماضي الغائبة فعَلاَ اي فعَلَتْ يسكنون عين الفعل تخفيفاً ويجعلون موضع التآء هآءً يكتبونها ولا ينطقون بها . وهذه الهآء مطّردة

عندهم في الافعـال والاسمآء المفردة الاّ اذا اتصل بمصحوبها كلمةٌ اخرى اتصال تركيب من نحو ضمير مفعولٍ أو مضافٍ اليهِ فيحوّلونها تآءً لحالة التجريد عندهم اشبه بحالة الوقف عندنا الاّ انهم اجروها على الاسم والفعل جميعاً . ويقولون في مضارع الغائبات تِفعلنا بالتآء في اوله ِقياساً على فعل الواحدة ويضمرون لهنّ في الماضي بالواو يقولون فَعَلُو اي فَعَلْنَ بخلاف المضارع والامر فبالنون وهو من عجيب ما في هذه اللغة . ويستتر الضمير عندهم حيث يستتر عندنا بلا فرق الاّ ان البارز منهُ لا يُحذَف عند اسناد الفعل الى الظاهر فهم يجرون ابداً على لغة اكلوني البراغيث . ويقولون في المثنى والجمع يَدَيْم وحاخاميم بالميم فيهما موضع النون وإلزامها اليآء مطلقاً لان الاعراب من مخترعات العرب الخاصّة بهم في هذه الطائفة من اللغات. وهذه الميم تُحذَف عند الاضافة كما تُحذَف النون عندنا . وكل همزةٍ دخلت على الكلمة من نحو همزة الاستفهام وهمزة أل والافعال المزيدة فهي هآء عندهم ابداً . وهذه الهآء في الافعال تسقط عند افتتاح مدخولها بزائدٍ آخر لحروف المضارعة وميم اسم الفاعل على حدّ ما في العربية . وعندهم الادغام والاعلال في كثيرٍ من الاحوال على نحو ما عندنا الاّ ان العرب اشدّ حرصاً على بقآء اصول الكلمة والحذف في العبرانية كثيرٌ حتى انهُ قد يفضي الى جهل المحذوف والتباس بعض الموادّ بغيرها . وهناك فروقٌ اخرى من مثل ما ذكرناهُ لانطيل باستيفآئها وما بقي من ذلك فانهُ متطابقٌ في الاعمّ الاغلب بحيث لو طرحت على هذه الالفاظ كلها اللباس العربي لم تكد تتوسم فيها من بعده ِشيئاً غريباً

وجملة الامر انهُ يمكن ان يقال ان العبرانية ادنى الى الهيئة السامية القديمة لما طرأ في العربية من زيادة الاتساع في الابنية والتصاريف وتهذيب الالفاظ بتبديل بعض مقاطعها وتزيينها بحركات الاواخر مما غيّر هيئتها في الظاهر غير ان ذلك لا يؤخذ حُجّةً على فرعيّة العربيّة كما هو مذهب اكثر المتقدمين لِما ان اللغة تابعةٌ لمكان اهلها من التأنّق في المنطق وحبّ التغالي بالفصاحة والشعر وسائر فنون اللسان وشأن العرب في ذلك اشهر من ان ينبَّه عليهِ . وبعدُ فأين حال العرب من حال العبرانيين وما كانوا فيهِ من طول الاغتراب والتقلب بين اظهُر الامم المختلفة وكثرة المناهضات والحروب وما عرض عليهم من القهر والاجتياح والجلآء عن مواطنهم حالة كون العرب لم يبرحوا حوزتهم ولم يدينوا الاّ لهواهم فكانوا دهرهم آمنين رخيّي البال متفرغين لما يريدون من شأنهم . وفضلاً عن ذلك فان العربية بقيت معمورة المعالم مأهولة المواسم على حين كانت العبرانية قد اقوت معاهدها وهجرتها الالسنة من عهدٍ بعيد لا يقلّ عن اثني عشر قرناً من الدهر والعربية في هذا الزمان كلهِ تزداد اتّساعاً وتهذيباً حتى بلغت مبلغها المعروف من الكمال والاتقان

وقبل ان اصدر عن هذا البحث لا بدّ لي من تعزيزهِ بشيء من شواهد اوضاع اللغتين اقابل بينها استنباطاً للدليل وهو بحثٌ خفيّ المدرج مشتبه الآثار لكني سأتخيّر منهُ ما هو اشفّ مرآةً واوضح توسُّماً على قدر ما تهتدي اليهِ البصيرة . واقرب ما يحضرني من ذلك صِيَغ الضمائر وابدأ منها بضمائر التكلم وهي في العبرانية للمفرد المنفصل أَنِي بالياء بعد النون ولما

فوقهُ نَحنُو بالواو واذا ارادوا المتصل قالوا فَقَدَتي مثلاً وفَقَدَني بالياء فيهما اي زُرْتُ وزارَني وفقدنُو وفقدَنُو بالواو اي زُرْنا وزارَنا جرياً في كلٍّ منهما على لفظ صاحبهِ المنفصل بخلاف ما في العربية كما ترى . فلا جرم ان الاوضاع العبرانيَة في هذه الضمائر أَقيَس وادلُّ على انها جاريةٌ على لفظ الواضع للملاءمة بين كلٍّ منها وما يناسبهُ . واما ضمائر الخطاب والغيبة فهي متلائمةٌ عند الفريقين في صورتي الانفصال والاتصال الا ضمائر الجمعين المذكر والمؤنث فانها متخالفة في اللغتين وصورها في العبرانية أَتّم وأَتّنْ للخطاب وهمْ وهنْ او همّاً وهنّاً للغيبة . ويقولون في المتصل منها فقدتّم وفقدتّن ويِفقدُو وتِفقُدْنا وهلمَّ جرًّا وهو قريبٌ من اللفظ العربي الّا ان الصِيَغ العربية ادنى من مظنّة اصل الوضع يسهل ردّها اليهِ على وجهٍ يصحّحهُ النقل والقياس .

وقبل بيان ذلك لا بدّ من التنبيه على ان اصل اتم وهم أَنتُمُو وهُمُو بالواو بعد الميم وكذا رأيتهم ومررت بكم وهلمَّ جرًّا بدليل ان هذه الواو تُرَدّ في الاختيار اذا دعا اليها داعٍ كاقامة الوزن في قول الشاعر

سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهمُ		فليس سواءٌ عالمٌ وجهولُ

ويجب ردّها اذا اتصل بهذا الضمير ضميرٌ آخر نحو ضربتموهُ واعطيتهموهُ مما هو مبسوطٌ في اماكنهِ . واصل انتُنَّ وهُنَّ وفروعها أَنتُمْنَ وهُمْنَ بميم ساكنة بعدها نونٌ مخفَّفة قياساً على ضمير المثنى والمجموع فيما سنبيّنهُ . وتقرير ذلك ان الاصل في ضمائر الغيبة هُوَ للواحد فلما أُريد بهِ الكناية عما فوقهُ أُبدِل من واوهِ ميمٌ لانها اقوى على قبول الحركات وأُلحِقت بهِ أَلِف التثنية وواو الذكور ونون الإناث وقيل هُمَا وهُمُو وهُمْنَ . ثم حُذِفَت الواو من هُمُو

لكثرة الاستعمال اكتفآءً بدلالة الميم على ارادة الجمع وأُدغمت ميم هُمْنَ في في النون لتسهيل اللفظ . وحُمِل على الضمير المنفصل الضمير المتصل وعلى ضمائر الغيبة ضمائر الخطاب في جميع صُوَرِها ومواقعها على الاطلاق فجرت الضمائر كلها على سَنَنٍ واحد. فاذا تفقدت هذا الاصل في الضمائر العبرانية لم تجد منهُ الاّ آثار اطلال فضلاً عن انك لا تجد في تصريف الماضي ضميراً للغائبات على ما سبق الالماع اليه مما يدلّ على نقصٍ في الاوضاع وتخلّفٍ في القياس . لا يقال ان العرب هذّبت هذه الضمائر واحكمت لفظها فان هذا لا يُعقَل ان يكون الاّ من اصل الوضع وما وُضع وضعاً فاسداً أو عن غير رويّةٍ لا يمكن ان يُرَدّ الى اصلٍ محكَم كالذي بينّاهُ . ثم ان ضمير الغيبة بالهآء عند الطائفتين شائعةً في جميع صيَغهِ وتصاريفهِ وبخلافه ضمير الخطاب فانهُ بالتآء في صيغة الرفع وبالكاف في غيرها فكان مقتضَى القياس ان يكون بلفظٍ واحدٍ في جميع مواقعهِ كما لا يخفى. وقد ورد مصداق هذا القول في بعض لغات اليمن فانهم كانوا يستعملون لهُ الكاف مطّردةً في الرفع وغيرهِ ومن ذلك قول الراجز يا ابن الزُبَير طالما عصَيْكَا اي عصَيْتَ والنحاة يزعمون ان هذا من قبيل الابدال وهو غير الظاهر . ومقتضى هذه اللغة انهم كانوا يقولون في أنتَ وفروعهِ أنكَ أنكُما انكم الى آخرهِ فينطبق على قياس غيرهِ . وحكى بعض الثقات هذا الاستعمال عينهُ في لغة الحبشة وهو مما يؤيد ما قلناهُ وهذا لم يُحكَ في شيء من العبرانية فالظاهر انهُ في العربية والحبشية اثرٌ من آثار القِدَم

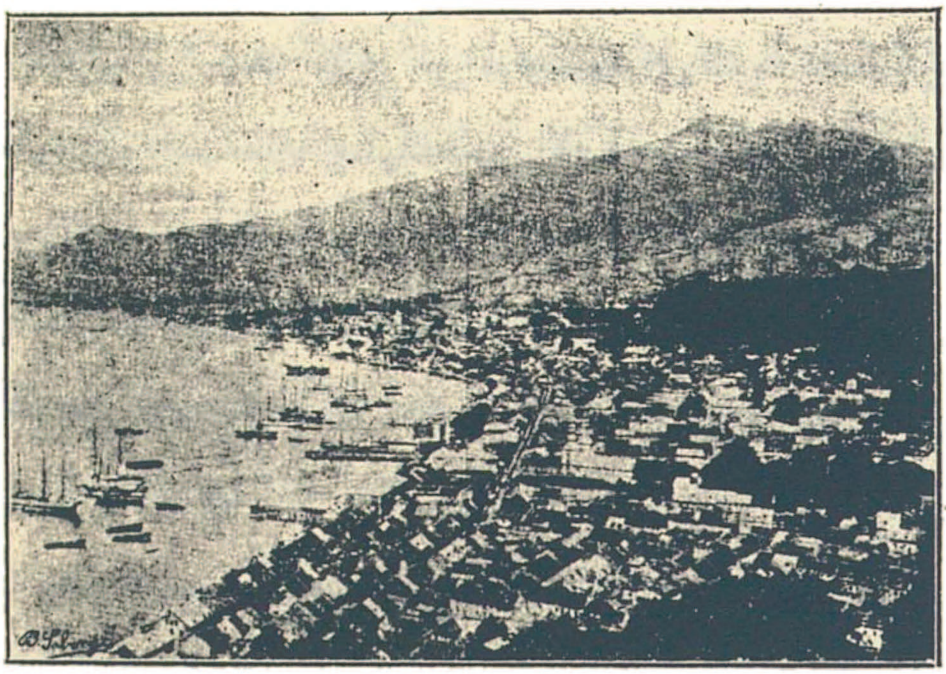
(ستأتي البقية)

حادث المرتينيك

هو من بقايا حوادث الدهور الاولى ايام كانت تنور الجبال فتصير وهاداً وترتفع البحار فتصير اطواداً وتُصهر الصخور والفلزّات فتصير دخاناً ورماداً بل هو من اخفّ تلك الحوادث وايسرها لولا ما اتفق من مجاورة الانسان لهُ كمن يجاور الاسد في غابهِ ويُلقي نفسهُ بين ظفرهِ ونابهِ فذهب في ذلك الوفٌ من الناس كانت آمنةً في ديارها لا تعلم ما خطّت لها انامل الغيب في صُحُف اقدارها فما هو الاّ ان شعروا بهجوم الخطب حتى اصبحوا رماداً وحُمَماً وخرّت منازلهم من فوقهم فكانت لهم قبوراً ورُجَماً

اما جزيرة المرتينيك فهي احدى جزُر الارخبيل المسمى بالأنتيل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وهي تنقسم الى قسمين احدهما الانتيل الكُبرَى ومنها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وغيرها والآخر الانتيل الصغرى ومنها المرتينيك ومكانها ما بين ١١َ ٦٣ْ و ٣٨َ ٦٣ْ من طول باريز غرباً وبين ٢٨َ ١٤ْ و ٥٢َ ١٤ْ من العرض الشمالي واهلها يبلغون ١٦٧ الفاً غالبهم من الهنود الاميركان وليس فيهم من البيض الا نحو ١٠ آلاف. وهذه الجزيرة تابعة لفرنسا وهي مؤلفةٌ من شبهَي جزيرة يصل بينهما برزخٌ ولهما حكومتان كلٌّ منهما مستقلةٌ عن الاخرى عاصمة احداهما فُور دُفرَنس وعاصمة الاخرى سَان بيّار. وفي الجزيرة جبالٌ بركانية شامخة الارتفاع منها جبل بِلاّي وهو الذي هاج هذه المرة فدمرّ مدينة سَان بيّار عن آخرها وتركها قاعاً صفصفاً

وقد اطالت الجرائد والمجلّات في وصف هذا الحادث وتفاصيله بما تقشعرّ لهُ الجلود ويتصدع لهُ قلب الجلمود فنكتفي بتلخيص الخبر على نحو ما يليق بغرض هذه المجلة نأخذهُ عن احدى المجلات الفرنسوية الواردة اخيراً مع زيادةٍ قليلة قالت



مدينة سان پيار قبل الخراب

ابتدأ هياج جبل پِلاّي في الليـلة التي بين ٣ و ٤ مايو وموقع هذا الجبل على مسافة اثني عشر كيلومتراً من شمالي سّان پيّار فلم تلبث ضاحية البلد أن كسيت بالرماد وفي ٥ منهُ اشتدّ هياجهُ وقذف من فوّهتهِ دخاناً كثيفاً تلتهُ موادّ سائلة طغت على جهـة سان پيار حتى بلغت الى مسافة ميلين عن اطراف المدينة وكان قد اتى على المدينة ثلاثة ايام وجوّها غاصٌ بما يشبه الضباب من غبار الرماد المتطاير فهلك بها الى ذلك الحين ما يزيد

على ٢٠٠ نفس ولكن لم يخطر ببال احد ما سيكون. وراء ذلك من الطامة الكبرى

فلما كان يوم الخميس ثامن الشهر نحو الساعة الثامنة من الصباح اندفع سيلٌ هائل من الصُهارة الملتهبة يصحبهُ مطرٌ من نار فلم يمضِ الاثوانٍ قليلة حتى طمى ذلك السيل على مدينة سان پيار وفي اقل من ثلاث دقائق كان منظر المدينة والشاطئ بجملتهِ كمارجٍ من نار وعصف على المدينة عاصفٌ يحمل البخار والحمأة والنار غطاها بجملتها فقوَّض الابنية وصير سكانها فحماً واحرق السفن التي في مرفأ المدينة واهلك بحارتها وركابها وطغى سيل الموادّ الذائبة على البحر فتراجع ماؤهُ مسافة مئة متر عن الشاطئ وكُسيت الجزيرة كلها بطبقةٍ من الرماد بلغ سمكها ١٦ سنتيمتراً ويقدَّر عدد الذين هلكوا في سان پيار بثلاثين الفاً

ومن غريب ما يُروَى ان اكثر جثث الموتى كانت مكفوءة على جباهها مما يدلّ على هبوب ريحٍ سامّة لم يطيقوا تنفسها فانكبّوا على مناخرهم كما يفعل سالكو الصحرآء اذا هبّت عليهم السَمُوم المحرقة ولكن هيهات فان الهوآء اصبح بأسرهِ سماً فلم يغنِ عنهم التستر منهُ ثم غشيهم مطر النيران وسيلها فمن لم يهلك بالسموم الغازيّة ذهب فريسة النار

على ان هذه الجزيرة ما برحت في كل زمن عُرضةً لحدوث الزلازل واشدّ ما يُروَى عنها بعد اكتشافها (سنة ١٤٩٣) الزلزال الذي حدث سنة ١٦٥٧ ثم سنة ١٧٥٣ وقد حدث فيها في تلك السنة ٣٣ رجفة في مدة ثلاثة اشهر . وفي ليل ١٤ اوغسطس سنة ١٧٦٦ خربت الجزيرة عن آخرها

وكان عدد الجرحى والقتلى اكثر من الف واستمرت بها الزلازل متتابعةً في القرن التاسع عشر حتى انهُ في ١١ يناير سنة ١٨٣٩ خرب نصف مدينة فُور دُفُرَنس وهلك فيها ٥٠٠ نفس وفي ١٦ مايو سنة ١٨٥١ حدث زلزال عنيف في الجزيرة كلها ثم تكرر في يوليو واوغسطس وكان في منتهى الشدة وسُمعت زمجرة غائرة من ناحية جبل پُلاّي فهرب الناس وقد استولى عليهم خوفٌ شديد ثم اخذ الجبل يقذف دخاناً كثيفاً يصحبهُ اصواتٌ مزعجة وروائح كبريتية وسقط مطرٌ من الرماد على ارباض سان پيّار الا ان الامر لم يزد على هذا واخذ الجبل بعد ذلك في السكون فتراجع الناس الى مساكنهم وقد نسوا ذلك الحادث لاعتقادهم ان البركان هامد قد طَفِئت نارهُ من عهدٍ بعيد . ولكنهُ لم يلبث هذه المرة ان هاج هذا الهياج الذي لم يُسمَع بمثلهِ شدةً وسرعة فقد كان اشدّ هولاً من الهياج الذي دمّر هركولانوم وپُمپّاي سنة ٧٩ ومن هياج جبل كُوتُوپكسي سنة ١٧٤١ وجبل كراكَتوا سنة ١٨٨٣ وهو الذي قُتل بهِ في ليلةٍ واحدة ما ينيف على عشرين الف نفس . فلا جرم ان ذلك مما يدل على انهُ لا ينبغي ان يُركَن الى بركانٍ من البراكين انهُ قد همد وأُمن عودهُ الى الهياج مهما اتى عليهِ من الزمن

اما اسباب هياج البراكين فأشهرها تولد غازات في باطن الارض تضغط على ما حولها من المواد فتنفجر وقد تقدم لنا الكلام على ذلك غير مرةٍ في الضيآء فلا نطيل بهِ في هذا الموضع . وفيما يرى احد علمآء الاميركان ان قشرة الارض في تلك الناحية لا بد ان تكون رقيقة جدًّا وقد يكون حدث فيها صدعٌ افضى منهُ مآء البحر الى النار المتأججة في الباطن فحدث عن

تمدده وانحصاره هذا البلاء وعلى ذلك ففي رأي بعضهم ان هذه الجزائر لا يؤمَن ان تغور برمتها في جوف البحر والله اعلم

رأي جديد في تولُّد اللؤلؤ

بقلم حضرة الاديب الياس افندي الغضبان

وقفت على النبذة الآتية في بعض المجلات الفرنسوية فآثرت ان اجعلها طُرفةً لقرآء ضيآئكم الزاهر لما فيها من الفائدة العلمية وهي هذه

من المعلوم ان اللؤلؤ يوجد في باطن الحيوانات الهلامية ذات الصدف واكثر ما يوجد داخل المحار الكبيرة الحجم التي تستخرج من بحر الهند الشرقي . والمادّة التي يتركب منها اللؤلؤ ليست الا مفرزاً من ذات الحيوان شبيهاً بالذي يتكون منهُ الصدف عينهُ . فاذا تقرر هذا فما العلة في كون اللؤلؤ يوجد في بعض المحار دون بعض وهو سؤالٌ اختلفت الاجوبة عليهِ ولعلّ افضل جواب ما رأيناهُ في البريتش مديكا جورنال حيث ذُكر ما أُجري فيهِ من الاختبارات الغريبة على يد المستر لِستَر جَيمسُن

وذلك ان المشار اليهِ عند فحصهِ تركيب اللؤلؤ وجد ان كل لؤلؤةٍ يكون في مركزها نِقف دودةٍ طُفيلية أو حَلَمية من النوع المسمى في عُرف علماء الحيوان بالدِستُوم فقدَّر ان اللؤلؤ لا بد ان يكون مركباً من موادّ رسوبية تجمعت حول هذه الأنقاف على نحو ما يحدث في بنية الانسان من تولد الحصى في المرارة أو الكلية أو المثانة فان هذه ايضاً تتكون على الغالب حول مجموع من الجراثيم الحية

ولتحقيق هذا الرأي عمد الى استحضار بعضٍ من المحار ووضعها في طستٍ من الماء واطلق فيه عدداً كبيراً من أنقاف الديدان المذكورة وبعد حين عمد الى فحص المحار فوجد الانقاف قد اخترق بعضها الى جوف المحار ونشأ عليها غشآء يشبه نسيج البشرة من خاصية خلاياهُ ان تفرز مادةً براقة تشبه مادة الصدف . ولما استقرت الانقاف في سجنها هذا اخذت ترسب على الغشآء المذكور ضروب من الاملاح تتخلل نسيجهُ فكان نواةً للؤلؤةٍ اخذت بعد ذلك في النموّ . على ان بعض الانقاف كانت تخرج من الغشآء فيضمر ثم يتحلّ فلا يتركب هناك شيء

فبقي ان الوصول الى صنع اللؤلؤ الطبيعي امرٌ بسيط سهل فان الحصول على عشر محارات مثلاً مع عددٍ من الانقاف المذكورة كافلٌ بالحصول على المطلوب

تنضيد الحروف بالآلات

اختُرعت منذ مدةٍ في اميركا آلةٌ لتنضيد الحروف تعمل عوض اليد وهي لا تنضّد الحروف الرصاصية بنفسها ولكن تنضد الامهات التي تُسبك عليها الحروف فتكون الحروف التي يُطبع عليها ابداً جديدة . وهذه الامهات تنتقل من نفسها بواسطة الآلة وتترتب كلماتٍ متتابعة في سطرٍ واحد فتُسبَك منها سبائك مستطيلة كل واحدة منها سطرٌ كامل . وللآلة مجاسّ يتصل كل مجسٍ منها بأمٍ على حد آلة الكتابة فيقف العامل امام تلك المجاسّ وينقر باصبعهِ على مجسّ الحرف الذي يريدهُ فتنتقل الامّ من مكانها الى

قالب السبك ثم ينقر على الذي يليهِ وهكذا حتى يتمّ السطر فيُسبَك وبعد ذلك تعود الامهات من نفسها فتتوزع الى مواضعها وتنتظم في صناديق ذات بيوت كل بيتٍ منها لواحدةٍ من الامهات فتكون معدّةً لأن تؤخذ لسطرٍ آخر وكذلك الحروف بعدما يُطبع عليها تعاد الى المسبك لتُستخدم في نوبةٍ اخرى وهلمّ جرًّا

ولا يخفى ما في هذا الاختراع من المنفعة الكبيرة والتوفير العظيم اذ لا يلزم فيهِ ما يلزم في العمل المعتاد من كثرة العمال والنفقات لقيام الآلة المذكورة مقام عددٍ كبير منهم بين السبك والتوزيع والتنضيد فضلاً عن انهُ لا يلزم معهُ هذه المقادير العظيمة من الحروف الرصاصية التي تملأ صناديق كثيرة وانما كل ما يلزم صندوقٌ للامهات يغني عنها جميعاً. وهذه الامهات ليست كثيرة لانهُ كلما ترتب منها سطر وسُبك عليها تعود فتتوزع الى اماكنها لتُستعمل في غيرهِ بخلاف الحروف الرصاصية فانهُ يلزم من كل حرف بمقدار ما يتكرر ذلك الحرف في الملزمة أو الجريدة كلها وهذا المقدار غير متعين كما لا يخفى فلا بد ان يزاد على كل نوعٍ من الحروف عددٌ احتياطي ولذلك عدلت الجرائد الكبرى الى استخدام هذا الاختراع في اميركا واوربا وان لزمهُ في اول الامر نفقاتٌ طائلة وبعض هذه الجرائد لا تكتفي بآلة واحدة ولكن لا بد لها من عدة آلاتٍ تعمل في وقتٍ واحد حتى ان مطبعة جريدة شيكاغو المسماة بشيكاغو تريبُون فيها ثلاث واربعون آلةً من هذا النوع ثمنها جملةً اكثر من ثماني مئة الف فرنك

ثم ان هذه الآلات كانت تدار عادةً بمحرّكٍ واحد بخاري أو كهربائي

وتناط آلاتها بمحور واحد يدور فيديرها بأسرها فكان اذا عرض للمحرك العام خللٌ وقفت الآلات كلها فارتأوا ان يجعلوا لكل آلةٍ محركاً مخصوصاً يستخدمون لهُ قوة الكهربائية وبهذا تم هذا الاختراع بجميع مقتضياتهِ

على ان الآلة انما تكون على وفق العمل وانما يزاول اختراع الشيء عند الحاجة اليهِ لان الحاجة كما يقال ام الاختراع فلا جرم انهُ لو كانت الكتب والجرائد في تلك البلدان على مثل ما هي عليهِ عندنا لبقي هذا الاختراع في ضمير الغيب الى ما شآء الله ولكان الفكر في مثلهِ ضرباً من العبث الذي لا طائل تحتهُ فما أعظم الفرق بين الغرب والشرق

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — كيف نضبط القبلة التي هي اسم من التقبيل فاني سمعت بعضهم يقول غب قبلّة عارضيكم بتشديد اللام فهل ذلك صحيح . ثم ايّ الجمعين افصح القبل أم القبلات نصر الله سمعان

الجواب — تلفظ القبلة بضمّ القاف وسكون البآء لا غير واما جمعها فان اريد بهِ الكثرة قيل قُبَل بالتكسير والا فقبلات

بكفيا — ارجوا اجابتي على السؤالين الآتيين

(١) هل يجوز دخول أل على غير فقد اختلف في ذلك بعض الادبآء عندنا

(٢) ما معنى قول الراجز

يا عجبا للعجب العجابِ خمسة غربانٍ على غرابِ

سليم اسعد لطف الله

الجواب — اما مسئلة دخول ال على غير فقد تقدم لنا فيها كلامٌ وافٍ في الجزء الاخير من البيان (صفحة ٦٦١) فراجعوهُ . واما تفسير البيت فهو نوع من اللغز اراد بالغربان الخمسة معاني الغراب وهي الطائر المعروف وعنقود ثمر الاراك اذا نضج واسودّ وقذال الرأس وحدّ الفأس وحرف الورك

القاهرة — سئل الاب لويس شيخو هل يجوز حذف أنْ بعد فعل القسم فيقال مثلاً « حلف لا يدخل » بدلاً من « حلف ان لا يدخل » . فقال لم ينصّ على ذلك النحويون في كتبهم لكننا وجدنا في كتب العرب ما يصوّبهُ فانهم كثيراً ما يحذفون أنْ بعد فعل القسم رغبةً في تخفيف الجملة ورشاقة التعبير ثم اورد على ذلك امثلة كثيرة من كتاب الاغاني لا حاجة الى ايرادها. وقد عجبت من ان النحاة لم ينصوا على مثل هذه المسئلة مع كثرة ورودها في الاستعمال فما قولكم في ذلك عبده داود

احد المتخرجين في مدرسة الآباء

اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — هذه احدى مضحكات هذا الاب وترّهاتهِ المعهودة وقد علمتم مما سبق في الضياء انهُ لا يعجز عن مسئلة ولا يسكت عن جواب فان لم يجد عليهِ نصاً من كلام العلمآء نصّ عليهِ من املاء علمهِ الواسع فأراك انهُ البحر يتدفق والسيل يتفجر فسبحان الواهب

والصحيح في هذه المسئلة انك اذا قلت حلف لا يدخل كان ما بعد حلف جواباً لهُ واذا قلت حلف ان لا يدخل كانت أنْ وما يليها معمولةً لحلف على تقدير جارٍ محذوف اي حلف على أن لا يدخل ويكون جواب القسم محذوفاً اغنت عنهُ أن وما يليها. فالكلام ليس على حذف أنْ ولكن كلاً من التركيبين من وادٍ الا ترى انك لو قلت «حلف ان يدخل» لم يجز لك حذف أن فلا تقول «حلف يدخل» لوقوع يدخل حينئذٍ جواباً للقسم على ما قررناهُ وهو لا يستغني عن رابط . قال في الكليات وروابط جواب القسم سبعة وهي إنّ المشدَّدة وإنِ المخففة وما ولا النافيتان واللام المفتوحة وقد وبل . اه بمعناهُ . ولا بأس ان نعزز ما تقدم بما جآء لهم من الكلام على قول الراجز وهو من شواهدهم المشهورة

أو تحلفي بربكِ العليّ ... اني ابو ذَيّالكِ الصبيّ

قال الاشموني يُروَى بالكسر (اي بكسر همزة إنّ) على جعلها جواباً للقسم وبالفتح على جعلها مفعولاً بواسطة نزع الخافض اي « على أني » .. قال وقد اتضح لك ان من فتح لم يجعلها جواب القسم لان الفتح متوقف على كون المحل مغنياً فيهِ المصدر عن أنّ وصلتها وجواب القسم لا يكون كذلك فانهُ لا يكون الا جملةً . قال الصبان قولهُ لم يجعلها جواب القسم اي بل مفعولاً كما تقدم ولا يضرّ عدم الجواب لان الجار والمجرور يقوم مقامهُ ويؤدّي مؤدّاهُ . اه . وهذا القدر كافٍ في الجواب الا ان يصرّ حضرة الاب على ان نأتيهُ بالنصّ على أن الناصبة للمضارع حتى يكون صنيعهُ كصنيع احد اخوانهِ في « الطريقة » واضرابهِ في العلم المسمى بالاب ڤرنيّاي

فان لهُ معنا حكايةً قديمة لا بأس من ايرادها في هذا المقام تفكهةً للقرآء

وذلك ان الاب المذكور جآءنا مرةً ايام كنا نصحح تعريب الكتب المقدسة وفي يدهِ صحيفةٌ قد اقتطعها من احدى الكراريس المطبوعة وقال اني قد وجدت لكم ههنا غلطةً فظيعة . قلنا وما هي . فأبرز تلك الصحيفة وقال انكم تقولون هنا « انها ستأتي ايامٌ يؤخذ فيها كل ما في بيتك ..»[1] الم يكن الصواب ان يقال « انهُ » ستأتي ايام ... قلنا ولمَ كان هذا الصواب دون ذاك . قال الا ترى ان المؤلفين يقولون في اوائل كتبهم « انهُ كان كذا وكذا » فيستعملون دائماً ضمير المذكر . قلنا لكن هل يعلم الاب ما هذا الضمير . ففكر ساعةً ثم قال هو ضميرٌ يراد بهِ الامر الذي ينوي المتكلم ان يحدث عنهُ . قلنا وهو كذلك ولذا يسميهِ النحاة ضمير الشأن وضمير القصة وهو جائز التذكير مطلقاً لكن يُختار تأنيثهُ اذا كانت العمدة الواقعة بعدهُ مؤنثة كما في الآية طلباً للمناسبة اللفظية . قال وهل لنا على ذلك شاهدٌ من كلام العرب فتمثلنا لهُ بالبيت المشهور وهو من شواهد النحو

هي النار انى تأتِها تستجرْ بها   تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

فقال هذا تمثيل على « هي » وانا اريد التمثيل على « انهـا » ... قلنا نعم هل قرأت القرآن . قال كيف لا وانا احفظهُ عن ظهر قلبي . قلنا فهل تذكر آيةً يقال فيها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ... فأصابهُ من حرارة النكتة ما اغصَّهُ بالجواب وخرج وهو لا يكاد « يبصر الباب » .....

---

(١) اشعيا ٣٩ : ٦

آثار ادبيّة

كتاب اسرار البلاغة — سفرٌ دلّ عنوانهُ على موضوعهِ تأليف الامام عبد القادر الجرجاني الشهير واضع علم البيان اودعهُ من قواعد هذا العلم ما لم يُحط بهِ احدٌ قبلهُ ولم يكد يزيد عليهِ من جآء بعدهُ نقّب فيهِ عن اسرار البلاغة فأماط عنها نقاب الخفآء ونصّ أعلامها للسالكين فاهتدوا بها في مستبهمات الارجآء في بيانٍ فصّل فيهِ المسائل تفصيلاً وبسط الكلام عليها الى ما لا يدع لاشكالٍ سبيلاً فكان اصلاً جامعاً لاركان هذا العلم ومهمّاتهِ كاشفاً عن حقائق اسرارهِ ودقائق مُبهَماتهِ فلهُ في ذلك الفضل الذي لا يزاحمهُ فيهِ مزاحم والذكر الباقي ما بقي في الامة ناثرٌ او ناظم

ولقد طالما كان هذا الكتاب مرمىً لامانيّ المتأدبين ومطمحاً لابصارهم لشهرة المؤلف بين ارباب هذا الفنّ وكثرة ما يرد ذكرهُ في مصنفاتهم الا انهُ كان عزيز المثال بعيد المنال الى ان وقعت نسخةٌ منهُ في يد حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضى منشئ مجلة المنار الاسلامي المشهورة فبادر الى تمثيلهِ بالطبع مصححاً بقلمهِ وقد فسر ما يقتضي التفسير من غريبهِ وافتتحهُ بمقدمةٍ لطيفة ذكر فيها مكان هذا العلم من علوم العربية ومكان المؤلف ممن الفوا فيهِ فأجاد في كل ذلك وافاد

والكتاب متقن الطبع جيد الورق يقع فيما يزيد على ٣٥٠ صفحة فنحضّ الادبآء والدارسين على مقتناهُ ونثني على حضرة رصيفنا المشار اليهِ اطيب الثنآء لما آثر بهِ الناطقين بالضاد من هذه الطرفة الحسنآء

حريق ميت غمر — هو عنوان رسالةٍ عني بتأليفها حضرة الاديب محمود بك حسيب صاحب مجلة المجلات العربية ذكر فيها طرفاً من تاريخ هذه المدينة وتفصيل ما وقع فيها من الحريق الهائل الذي كان فاتحة حرائق هذه السنة وعفا بهِ ما يزيد على نصف المدينة. وقد اودعها كثيراً من الرسوم التي تمثل الاحياء المحترقة وحال بعض المصابين بالحريق وشيئاً من اقوال الشعرآء والخطبآء في رثآء المدينة والحضّ على اغاثة المنكوبين . ويؤخذ مما قرروهُ بعد المشاهدة والبحث ان عدد المنازل التي دُمّرت يبلغ ٥٤٨ منزلاً خلا الدكاكين والمعامل وغيرها وهي تبلغ نحو التسعين وعدد الذين ماتوا بالحريق والردم نحو المئة ومثلهُ عدد الجرحى وان ما تلف من المال والعقار يقدَّر بما لا يقلّ عن ٢٠٠ الف جنّاي. ومن غريب ما جآء في تاريخها نقلاً عن ابن اياس انها احترقت قبل هذه المرة سنة ٩٢٤ للهجرة احرقها ثوّار عرب الشرقية بأمر شيخهم عبد الدائم بن بقر بعد نهبها في فتنةٍ ليس هذا محل ذكرها

والرسالة تنطوي على ما يقرب من ٦٠ صفحة وقد جعل ثمن النسخة منها عشرة غروش مصرية وارصد ما يدخل من ثمنها لاعانة المنكوبين بهذه النازلة فنحضّ اهل الكرم والمروءة على مشتراها ونسأل لمؤلفها خير الجزآء على حسن صنيعهِ والله لا يضيع اجر المحسنين

فكاهات

الفوتوفون (1)

كان لاحد اغنياء الاميركان ابنة وحيدة حباها الخالق فوق الغنى الوافر جمالاً رائعاً وخلقاً حسناً وذكاء مفرطاً . وكانت هذه الفتاة واسمها لوسيل قد اتقنت علومها المدرسية ونشأ فيها ميل شديد الى المطالعة والكتابة فعكفت على الاشغال العقلية والتأليف ولم يخطر لها قط ان تنهمك في تزيين نفسها والتبرج بالحلى والجواهر شأن اكثر السيدات فزاد هذا الاهمال في جمالها لان الحسن الصحيح هو ما اوجدتهُ الطبيعة بدون تكلف

وفي ذات يوم طلبت لوسيل الى والدها ان يسمح لها بالسفر الى انكلترا لتنشئ فيها جريدة يومية واذ كان والدها على ثقة من كمال آدابها ومقدرتها العلمية اذن لها وزودها بمبلغٍ من المال وتواصٍ الى اصحابهِ هناك فجاءت لوسيل لندن وانشأت فيها جريدة سمتها « الكوكب » فلم يأتِ على جريدتها مدة قصيرة حتى طار صيتها بين الصحف الانكليزية واتسع انتشارها وجعل كبار الانكليز وساستهم يعجبون بالمقالات الرنانة التي كانت لوسيل تكتبها فضلاً عن الاخبار اليومية والحوادث المحلية التي كانت جريدتها تسبق الى نشرها

واذ كانت لوسيل يوماً في مكتب الجريدة تكتب عن الحرب الترنسفالية اذا بباب غرفتها قد فتح ودخل خادمها فقال بالباب يا مولاتي فتى يطلب مقابلة منشئ الكوكب . فقالت دعهُ يدخل . فقال الخادم ولكن يا مولاتي لا اعلم لعل الرجل مجنون او سكران فان هيئتهُ تدل على هياج عظيم وفي يدهِ عصاً من جلد الفيل يتكلم ويهزها في يدهِ متوعداً . فتبسمت لوسيل وقالت لا بأس يا هذا دع الرجل يدخل اليَّ حالاً . فذهب الخادم وما غاب حتى عاد وامامهُ فتىً في مقتبل

(1) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الشباب قد ابيضّ قسمٌ من شعر رأسهِ وارتسمت على جبهتهِ اسارير تدل على التعب والهم ورأت لوسيل في هيئة الرجل دلائل الهياج والغيظ الشديد وعجبت من دخولهِ وقبعتهُ لا تزال على رأسهِ والعصا في يدهِ ونسخة من الكوكب في يدهِ الاخرى . فنظرت اليهِ لوسيل نظر المستفهم بوجهٍ طلق فقال الشاب اين منشئ هذه الجريدة . فقالت لوسيل انا هو يا مولاي فماذا تأمر . فقال وقد تغيرت ملامحهُ للحال من الغيظ الى الاستخفاف والازدراء لم اكن اعلم ان المنشئ فتاة وقد ظننتهُ رجلاً من مقامي لا ينكر عليَّ طلب الانتقام ويقوى على احتمال بضع ضربات من يدي . اما وقد رأيتهُ فتاةً ضعيفة فانا اخجل من ان يقال اني رفعت عليها يدًا وغاية ما انتقم بهِ منكِ يا هذه ان احتقركِ ولا اهتم بكِ . ثم حوّل وجههُ وسار نحو الباب. وكانت لوسيل في غاية الحيرة والتعجب مما رأت وسمعت فلم تطق هذه الاهانة . وكانت لا تزال جالسة على كرسيها فوثبت للحال وامسكت الشاب من يدهِ وقالت لهُ بصوت الآمر ارجع يا هذا وافصح في المقال فانا لا اسمح لك البتة ان تهينني وتذهب كما دخلت بدون ان تعلمني السبب . قال اظنكِ عرفتِ سبب غيظي لانك قصدتهِ . قالت لم اقصد سوءًا باحد ولا اعرف من انت . قال يا للعجب ألا تعرفينني فكيف كتبتِ عني في جريدتكِ . قالت اقسم لك بشرفي اني لا اعرفك ولم اكتب عنك شيئًا . فعاد الشاب معها وجلس على كرسي بازآئها ثم فتح الجريدة التي في يدهِ وقال هاكِ ما جآء في جريدتكِ بتاريخ امس . ثم قرا ما يأتي « اقترحت بعض الجرائد وضع مقالة في سرقة المصارف وتزوير اوراقها وعندنا انهُ لا يحسن كتابة ذلك بالتفصيل اللازم سوى شخص يدعى بجون مارسدن كان قد زوَّر قراطيس مالية حين كان مستخدمًا عندعمهِ في نيويرك وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات »

فقالت لوسيل انني لا اكتب في جريدتي سوى المقالات العلمية والسياسية اما الاخبار المحلية والشخصية فيكتبها لي باجرتهِ شخص آخر ولثقتي بهِ فاني لا اطالع شيئًا من كتاباتهِ وانا أوكد لك انني لم اقرأ هذه الجملة الى الآن ولكن ارجو ان تفيدني عن سبب غيظك من ذلك . فقال الشاب وقد صبغ الدم وجنتيهِ انا هو

جون مارسدن وانتِ تدرين ماذا يكون تأثير هذه الجملة في حياتي . و بعد ماتوقف قليلاً عن الكلام قال واذ عرفتِ ذلك فلا بد من ابلاغكِ الامر بالتفصيل . فانا اميركي الاصل واسمي جون مارسدن توفي والداي وانا صغير السن فاخذني عمي الى بيتهِ وربَّاني حتى اذا اتقنت دروسي ادخلني في تجارتهِ وسلم اليَّ شيئًا من اعمالهِ فكنت ادأب ليلاً ونهارًا في العمل وانا اودُّ ان اكافئ عمي على ما انفقهُ عليَّ في تربيتي وتثقيفي . وكان لعمي ولدٌ من زوجتهِ لم اختر غيرهُ صديقًا لان كثرة الاصدقاء تضطرُّني الى التبذير و بقيت هكذا مدة سنتين في العمل والكد حتى ظهرت حوالة على صندوق المحل بمبلغ الفي ريال و بعد دفع قيمتها وُجد انها مزوَّرة فاهتمَّ عمي وجميعنا لمعرفة الجاني وطلب من الحكومة مساعدتهُ في الامر . ثم بعد حين ظهرت حوالة اخرى مزوَّرة بقيمة اربعة آلاف ريال ولا تسألي عن البحث الدقيق والتحري الذي اجرتهُ الحكومة في ذلك الحين . وجئتُ ذات يوم الى الادارة فوجدت رجال الشحنة فيها ينتظرون قدومي وحالما دخلت القوا عليَّ القبض وساقوني الى السجن وانا لا اعلم شيئًا مما يفعلون وكنت اتوقع في كل دقيقة قدوم عمي او ابنهِ لفكّ اسري فمضى عليَّ اليوم الاول والثاني وانا لا ارى احدًا سوى السجان الذي يأتيني بالطعام. وفي اليوم الثالث نُقلت الى دار المحاكمة وهناك سمعت اني متهم بتزوير الحوالتين المذكورتين وانهم وجدوا بين اوراقي حوالة اخرى مزوَّرة بقيمة اربعة آلاف ريال

اما انا فكان هول الموقف ومرارة التهمة قد صدعا فؤادي واطارا صوابي فلم اعلم أفي يقظةٍ انا ام في منام ثم لفتُّ وجهي الى جهة عمي فرأيتهُ ينظر اليَّ نظرة الاحتقار والكراهية ولما سُئل عن رأيهِ في الامر قال انهُ يفضل مماتي على ان احيا موصومًا بسمة التزوير والاختلاس . ولما رأيت اقتناع عمي بذلك وكان هو املي الوحيد شعرت باختلاج اعضائي واظلمت عيناي فسقطت الى الارض لا اعي شيئًا . ولما افقت وجدت نفسي في سجني وقد حكم عليَّ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات . ومرَّت عليَّ الايام والشهور في ذلك السجن المخيف لم ارَ فيها صديقًا معزيًا ولا من يسأل عني سوى ابن عمي الذي زارني مرتين . وكنت اطلب الى الله ان يقصر

حبل حياتي ويكفيني عذاب السجن والحياة ولكن ابى الله ان يستجيب طلبي و بقيت حيًّا الى نهاية المدة فاطلق سراحي . ولم تهن عليَّ العودة الى بيت عمي بعد ما رأيت منهُ من الكراهية لي والتسرع في الحكم عليَّ وعزَّت عليَّ الاقامة في كل تلك البلاد فجئت انكلترا وخدمت فيها في شركة تجارية حيث انا الآن . و بعد مجيئي الى هنا صادفت ابن عمي واخبرني انهُ كان دائماً يتجادل واباهُ بسببي ويلومهُ على سوء ظنهِ بي وان الامر افضى بينهما الى خلافٍ عظيم فترك نيويرك وجآء الى انكلترا ليقيم فيها . فجلسنا حيناً نتحادث ورأيت انهُ لا مال معهُ فكنت اقاسمهُ دخلي الى اول الشهر الماضي فلم اعد اراهُ ولا ادري اين هو . وكنت قد اكتسبت رضى اصحاب الشركة فزادوا راتبي ولم يزالوا يبالغون في اكرامي حتى رأوا اليوم هذه النسخة من الجريدة فاستدعوني وامروني ان اكذب هذه الاشاعة والا فهم لا يكفلون بقآئي في هذه الخدمة

وكانت لوسيل تسمع بغاية التأثر فلما انتهى جون من كلامهِ قالت انني اتأسف غاية الاسف لما حصل بغير علم مني وسأقابل جورج ارثر وافحص عن الامر . فاضطرب جون اضطراباً شديدًا وقال جورج ارثر واي دخل لجورج ارثر في هذه المسألة . قالت هو الشخص الذي يكتب لي الاخبار المحلية والشخصية وهو الذي كتب هذه الجملة فلماذا اضطربت لسماع اسمهِ . قال جورج ارثر هو ابن عمي وقد حققتِ لي الآن ظنوناً كانت تخالج صدري من زمنٍ مديد فلم يبقَ عندي ريبٌ الآن ان ابن عمي هو سبب كل ما حدث لي من الموبقات . فآه ماذا افعل . و بعد سكوتٍ طويل قالت لوسيل اترك الامر لتدبيري ولا تظهر شيئاً من استيآئك ولا مما حصل فان السكوت التام يساعدني على كشف الحقيقة واذا طلب منك رؤسآؤك شهادةً عنك فأرسلهم اليَّ ولا تخف من خسارة الوظيفة فان ادارتي مستعدة لقبولك من الآن بضعفي الاجرة التي تنالها وانا اتكفل لك باعادة شرفك فثق بذلك ومرَّ عليَّ كلما امكنتك الفرص فأطلعك على ما يحصل

وفي المسآء استدعت لوسيل جورج فوبختهُ على تصريحهِ بالاسمآء وامرتهُ ان

لا ينشر شيئاً بعد ذلك في الجريدة قبل اطلاعها عليهِ . اما جورج فكان يجتهد في ارضآء لوسيل وهو يؤمل ان يوقعها في حبائل خبهِ فيقترن بها ويصبح وارثاً للملايين والدها فلما حصلت هذه الحادثة رأى فيها تغيرًا عظيماً من جهتهِ وتبينت لهُ منها علامات الاحتقار والنفور وزاد في الطين بلة ما علمهُ من ان جون يتردد عليها فتظهر لهُ المودة والانعطاف فصمم على الانتقام منها وايصال الضرر اليها

وفي الشهر الثاني من تاريخ هذه الحادثة مرّ جون كعادتهِ لزيارة لوسيل فأدخلتهُ الى غرفتها الخصوصية وبعد ان تحادثا حيناً قالت لهُ قد ارسل اليَّ والدي من اميركا هذه الآلة العجيبة المخترعة حديثاً وتُدعى فوتوفون من وظيفتها انها اذا اديرت تحفظ الاصوات التي تصدر امامهـا مع صور الاشباح التي تكون مواجهةً لها . فاذا وضعتها مثلاً في غرفة الخطابة واحببت بعد مدة طويلة او في بلد آخر ان تشاهد وتسمع نفس الخطيب فما عليك الاّ ان تدير هذه الآلة فترسم لك صورًا متحركة تمثل الشخص وحركاتهِ وصوتهُ واشاراتهِ بتمام الدقة والتفصيل . فأُعجب جون من هذا الاختراع ولكنهُ كان لا يزال مشرد البال يسعى في محو ما لصق باسمهِ من العار فودع لوسيل وخرج . وعادت لوسيل الى الآلة تفحص اختراعها وتحكم تركيبها وبينما هي كذلك سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفتها فخطر لها ان تجرب تلك الآلة فأدارت حركتها وذهبت ففتحت الباب . وكان الداخل جورج ارثر وهيئة الشر بادية على وجههِ فرعبها منظرهُ وانساها الآلة فرجعت الى طرف الغرفة مذعورة . وبعد ان حيّا جورج قال لها يا لوسيل انني احببتكِ مذ رأيتكِ اول مرة وعزمت على اتخاذكِ زوجةً لي ولكنكِ تغيرتِ بمنذ مدة قصيرة وجعلتني بين اليأس والامل وقد جئت الآن لاسمع من فمكِ الجواب الاخير فهل ترفضين طلبي . فقالت لوسيل وقد بلغ منها الغيظ مبلغهُ اغرب يا هذا من هنا فلن يمكن ان اتخذ دنيئاً نظيرك بعلاً لي واني اعجب من جسارتك في القدوم اليَّ بمثل هذا الامر وانصح لك ان تعود من حيث اتيت . فقهقه جورج ضاحكاً ضحكةً شيطانية وقال خفّي عنكِ يا لوسيل فلست بخارجٍ من هنا ما لم اثق ببلوغ قصدي . وانا اعلم انكِ تغيرتِ

من جهتي بعد مصادقتكِ لذلك الوغد جون ولقد طالما كان مزاحماً لي في اشغالي ومسابقاً لي في جميع احوال سعادتي ولكنهُ لن يفوز بمثل ذلك بعد الآن . اجل ان ابي قد ربَّاهُ وادخلهُ في اشغاله فكان امهر مني وتقدَّم عليَّ فعمدت الى ابعاده ولم اتمكن من ذلك حتى احتجت الى دراهم فزوَّرتُ حوالات على محل والدي اولاً وثانياً ولما علمت بعد ذلك ان للمزور عقاباً شديداً اغتنمت الفرصة لالقاء جون في التهلكة فزورت حوالةً اخرى وكتبت بضع اوراق تلقي التهمة على جون وفاز سهمي فاتُّهمَ وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات ظننتهُ يموت في اثنآئها واتخلص منهُ ولكن ابت روحهُ النجسة ان تفارق جسدهُ فبقي حيًّا . ثم احتجت الى دراهم مرةً اخرى فسرقتها من خزانة محلنا فلما شعرت ان والدي علم بذلك اسرعت فتركت نيويرك وجئت الى هنا فوجدت هذا الوغد جون قد سبقني الى لندن وحصل على مركز حسن وانا اتضور جوعاً فزاد غيظي منهُ . ثم ما صدقت ان تعرفت بكِ واملت ان احصل عليكِ حتى رأيتهُ قد انتصب امامي وسبقني الى اكتساب مودتكِ ورضاكِ فالويل لهُ لانهُ لا بد ان يموت من يدي

وكان كلام جورج وهيئتهُ الوحشية وتوعدهُ الشديد قد رعب لوسيل فوقفت كالصنم وهي لا تبدي حراكاً وشعرت ان الارض تموج تحت قدميها . وعاد جورج الى تتمة حديثهِ فقال اما الآن فأول ما يجب ان اعملهُ هو ان اتخلص من وجود هذا اللعين جون وقد قال لي انهُ يقيم في عدد ٣ من شارع فكتوريا فسأقصدهُ واخطف روحهُ بهذا الخنجر ثم اعود الى هنا فاما ان تطيعي امري أو الحقك بهِ . واني انصح لكِ ان لا تبدي حراكاً حتى ارجع واقل اشارةٍ تظهرينها تعجل موتكِ . ثم توجه نحو الباب فأسرعت لوسيل لامساكهِ فدفعها في صدرها دفعة شديدة فسقطت على الارض مغشيًّا عليها . ثم خرج واقفل الباب من الخارج ووضع المفتاح في جيبهِ

ولما افاقت لوسيل من اغمآئها راجعت في مخيلتها ما حصل وكانت لا تدري أفي يقظةٍ ما جرى ام في منام ولكنها ما لبثت ان تحققت الامر وعلمت ان جون المسكين سيلاقي حتفهُ على غير انتظار واخذت تفكر كيف تفعل لتنبههُ الى ذلك

الخطر . ثم اخذت جرساً صغيراً عن مائدتها وجعلت تقرعهُ شديداً لتستدعي الخدم فلم يسمعها احد ولو سمع الخدام لما امكنهم الدخول اليها والباب مقفل فوقفت حيناً وهي حيرى تتأمل في تلك الغرفة فوقع نظرها على التلفون . وكأن شعاعاً علويّاً اشرق على فكرها فوثبت الى التلفون وطلبت للحال التخاطب مع دار الشحنة فأعلمتهم ان رجلاً ذاهبٌ الى عدد ٣ من شارع ڤكتوريا ليقتل فتى يدعى جون مارسدن وانها لم تتمكن من ابلاغ الخبر شفاهاً لانها محبوسة في بيتها وانها تتحمل الدرك والنفقات التي تترتب على هذا البلاغ ان لم يكن الامر صحيحاً . فوردها الجواب انهم سيرسلون للحال من يستطلع الامر

واثرت تلك العوامل على مزاج لوسيل وشعرت بحمى محرقة تنهش جسمها فسقطت على مقعدٍ بقرب الحائط وغابت عن الوجود . وفي تلك الدقيقة كانت قد انتهت حركة الفوتوفون فأُقفل من نفسهِ وساد السكوت على تلك الغرفة

ولما افاقت لوسيل وجدت نفسها في غرفتها والى جانبها الطبيب وممرضة جيء بها من المستشفى فلم يسمحا لها ان تتكلم البتة و بقيت على هذه الحالة الى ان تعافت تماماً . واذ ذاك زارها رئيس الشحنة ودار بينهما حديث الواقعة فذكر لها انهُ لما بلغهم خطابها بالتلفون ارسلوا للحال بعض رجال الشحنة الى المحل الذي ذكرتهُ ولكن جآء بلاغها متأخراً ولما وصل الشحنة وجدوا جورج قد اغمد خنجرهُ ثلاثاً في صدر جون وهو يهم بأن يجهز عليهِ فاوثقوهُ واخذوهُ الى السجن وقد اصرّ تمام الاصرار على كتمان امرهِ فهو منذ القآء القبض عليهِ لم يفه بنت شفة . اما جون فنقلوهُ الى المستشفى وقرّر الاطبآء ان جراحهُ وان تكن عميقة فهي ليست بذات خطر وقد ابقي هناك للمعالجة . وجآءوا بعد ذلك الى غرفتها عسى ان يحصلوا منها على بعض الانبآء لمحاكمة جورج فوجدوا الغرفة مقفلة ولما قرعوا الباب لم يسمعوا جواباً فكسروهُ ودخلوا فوجدوها ملقاةً فاقدة الشعور فنقلوها في الحال الى سريرها واستدعوا الطبيب فوجد ان بها حمى شديدة على اثر ذلك التهيج العظيم وهذا ثامن يوم مرّ عليها وهي في هذه الحالة

قالت لوسيل وماذا كان من امر جون . قال انهُ يتعافى شيئاً فشيئاً وقد برئت جراحهُ واذنت لهُ الاطبآء في الخروج للنزهة . قالت وجورج . قال لا يزال في سجنهِ ونحن في انتظار شفآئكما للشروع في محاكمتهِ وفحص دعواهُ

ولما تعافت لوسيل استُدعيت وجون الى دار القضآء حيث أُوثق جورج فقدم النائب العمومي قضيتهُ وُطلب منهما ابدآء ما يعلمانهِ من امرهِ فحكى جون ما حصل لهُ ولم ينكر المتهم انهُ تعمد قتلهُ وانهُ انما فعل ذلك لعداوة قديمة بينهما كان السبب فيها جون . ولما قررت لوسيل ما تعلمهُ وسردت كلام جورج الذي قالهُ في غرفتها تغيرت ملامح المتهم وانكر تمام الانكار انهُ قال شيئاً من ذلك وادعى ان الفتاة قد اخترعت هذه القصة الملفقة لانها تحب جون وتسعى في برآءتهِ . فتبسمت لوسيل وطلبت من القضاة ان يأذنوا لها في الغياب قليلاً لتحضر لهم شهوداً لا يتمكن احد من الطعن في شهادتهم . ولما اذنوا لها اسرعت الى غرفتها فاحضرت الفوتوفون الى وسط المحكمة ثم ادارت الآلة فجعلت تشخص حالة جورج بحركاتهِ واشاراتهِ وكلامهِ منذ دخولهِ غرفة لوسيل الى وقوعها فاقدة الرشد بعد ان ابلغت الشحنة كما مرَّ . ولم يجسر احد على تكذيب هذا الشاهد الناظر الاعمى والناطق الاصم ونظر القضاة الى جورج فرأوهُ قد علا الاصفرار وجههُ وانقلبت سحنتهُ ولما سألوهُ في ذلك لم يسعهُ الانكار فاقرَّ بما حصل وُحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدى الحياة

وبلغ الخبر بتفاصيلهِ عم جون فتأثر تأثراً شديداً وعلى الخصوص لسوء اعتقادهِ بابن اخيهِ واهمالهِ اياهُ مدة سجنهِ واتهامهِ اياهُ بالتزوير والاختلاس فجآء لندن وبحث عن جون فلما التقى بهِ تواقع عليهِ وسألهُ الصفح عما اتى في حقهِ ثم اخبرهُ ان زوجتهُ قد توفيت وانهُ اصبح شيخاً لا قدرة لهُ على العمل وقد جآء ليسلم اشغالهُ واعمالهُ الى جون وسألهُ ان يقبلها دلالةً على صفحهِ عنهُ

وكانت علائق الوداد والمصافاة تزداد تمكناً بين لوسيل وجون حتى انتهت باقترانهما فعاشا سعيدين يتمتعان بصفآء الحياة ولذة الولآء .